

الدرس : 15 - سورة التوبة - تفسير الآية 16، مراقبة الإنسان لنفسه ومن خلال هذه المراقبة يتقرب إلى ربه.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضن عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الدنيا دار عمل وتكليف والآخرة دار جزاء وتشريف :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الخامس عشر من درس سورة التوبة، ومع الآية السادسة عشرة وهي قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16) ﴾

[سورة التوبة]

أيها الإخوة الكرام، حقيقة هذه الدنيا أنها دار ابتلاء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن



الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء

عر فيها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليغطي، وبيتلي ليجزي.

هذه الدنيا دار عمل وليست دار جزاء، هذه الدنيا دار تكليف وليست دار تشريف، هذه الدنيا دنيا، وبعدها حياة غلbia، دار دنيا ودار غلbia، الدار الدنيا فيها متاعب، فيها ابتلاءات، فيها أمر اض، فيها هموم، فيها أحزان، فيها موت، فيها مرض، فيها فقر، فيها قهر، طبيعة الحياة الدنيا إعداء للآخرة، لذلك علم يقيناً أنك مبتلى شئت أم أبيت. الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - سئل: ندعو بالابتلاء أم بالتمكين؟ فقال: لن تمكن قبل أن تبتلى.

الدنيا دار ابتلاء وتأديب وإكرام :

لا تصدق أيها المؤمن أن تصل إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض والتي فيها:

((ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

لا تصدق أن تصل إلى الجنة من دون امتحانات، والدليل:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (30)

[سورة المؤمنون]

الأصل في الدنيا أنها دار ابتلاء.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) ﴾

[سورة البقرة]



أنت حينما توطن نفسك على أن هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء، حينما توطن نفسك أنه لا بد من أن

يكون في حياة المؤمن نقطة سلبية يُمتحن بها، يعني بشكل أو بآخر المؤمن إن خالف منهج الله أمامه تأديب، وإن استقام على أمر الله أمامه ابتلاء، فلا بد من أن تكون حياة المؤمن منظوية على ابتلاء، وتأديب، وإكرام، والأرجح أن حياته تستقر على الإكرام، لا بد من مرحلة يُؤدَّب فيها إذا خالف منهج الله، ولا بد من مرحلة يُمَنَح فيها إذا استقام على أمر الله، ثم تأتي مرحلة التكريم، وهذه المراحل الثلاث إما أن تكون متداخلة، أو أن تكون متميزة. لذلك الطالب عندما يوطن نفسه على أن العام الدراسي عام جهد كبير، و عام سهر طويل، و عام قراءة متأنية، و عام يعد عن كل حظوظ الدنيا، من أجل أن ينال شهادة غالياً يتيه بها على الآخرين، عندئذ ينجح. لا توطن نفسك أبداً على أن الدنيا دار استمتاع، دار استرخاء، دار نعيم، دار سرور، المؤمن يُسر، ويسعد، وينعمه الله، لكن هدفه طاعة الله، تأتي السلبيات والإيجابيات، يأتي الإكرام والتأديب، يأتي الامتحان والتكريم.

بطولة الإنسان أن يفهم حقيقة الدنيا ليستقبل متاعها بالرضا ومصائبها بالشكر :

إذاً حينما تكتشف حقيقة الدنيا بل إن جزءاً من عقيدتك أن تفهم حقيقة الدنيا، هذه الدنيا ليست دار استقرار، ممر وليست مقراً، هذه الدنيا دار عمل لا دار جزاء، هذه الدنيا دار تكليف لا دار تشریف، الدنيا نخرج منها، أما الجنة:

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (48)

[سورة الحجر]

بطولتك أن تفهم حقيقة الدنيا، إن فهمت حقيقة الدنيا تستقبل متاعها بالرضا، تستقبل مصائبها بالشكر، تستقبل جهدها الكبير بالرضا.

أيها الإخوة، الآية الكريمة:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا؟ ﴾ أي هل من الممكن أن تدخل لجامعة، تنتسب لجامعة، تدفع أقساطاً، ولا يوجد فحص ولا دوام ولا متابعة وبعد أربع سنوات تُمنَح ليسانس بدون امتحان؟ هل يوجد بالأرض جامعة تفعل هذا؟ هل يوجد في الأرض كلها جامعة تعطي شهادة من دون امتحان؟ مستحيل! ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ إن كنا ممتحنين، اعتقد يقيناً وهذا جزء من آثار النبي -عليه الصلاة والسلام-.

الإنسان لن يُمكن قبل أن يُبتلى :



أعيد النص على مسامعكم مرة ثانية: إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء،

لا تستقيم لإنسان، الصحة

جيدة، الدخل قليل، الدخل كبير هناك أفة في الجسم -مرض- لا يوجد مرض وهناك دخل كبير لكن الزوجة سيئة، الزوجة جيدة، الأولاد غير أبرار، الأولاد جيّدون لكن الدخل قليل، أي طبيعة الحياة الدنيا لا بد أن تُمتحن من زاوية، إما من زاوية الدخل، أو من زاوية العمل، أو من زاوية الزوجة، أو من زاوية الأولاد، أو من زاوية المسكن، أو من زاوية الصحة، لا بد من أن تمتحن.

أعيد على مسامعكم قول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- حينما سئل: ندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ فقال: لن تمكن قبل أن تُبتلى.

وهذه الآية تؤكد هذه الحقيقة،

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ يعني مستحيل وألف ألف مستحيل أن تُترك بلا امتحان، طعام، شراب، بيت فخم، دخل كبير، صحة جيدة، زوجة رائعة، أولاد، هكذا، موت، إلى الجنة، مستحيل! هذا مستحيل وألف ألف مستحيل ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ الله -عز وجل- حكيم، قد يعطيك صحة ومعها امتحان، قد يعطيك بيتاً ومعها امتحان، قد يعطيك زوجة وفيه ومعها امتحان، قد يعطيك أولاداً أبراراً ومعهم امتحان، اعتقد يقيناً أنه لا بد من أن تُبتلى، والآية الدقيقة ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ والآية الثانية:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ (2)

[سورة الملك]

بطولة الإنسان أن يقف من المصائب موقفاً كاملاً:

الآن اسمع هذه القاعدة: ليست البطولة ألا تصيبك مصيبة، هذا مستحيل! لكن البطولة أن تقف من المصيبة موقفاً كاملاً، ليست البطولة ألا تصاب بمصيبة، لكن البطولة أن تقف الموقف الكامل من المصيبة، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- وهو سيد الخلق، وحبیب الحق، وسيد ولد آدم، هو نفسه يقول:

((لقد أوديت في الله وما يؤذي أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاث من بين يوم وليلة ومالي طعام إلا ما وراه إبطلال))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

جاء النبي الكريم، وخاف النبي الكريم، خاف، وجاع، وضيق عليه الكفار، وهددوه بالقتل، وأخرجوه



الإبتلاء هو إشارة بمتابعة الله

من بلده، فإذا كان سيد الخلق وحبیب الحق قد ابتلاه الله، فاعتقد يقيناً أنه لا ينجو مؤمن من الإبتلاء.

لكن أحياناً ترى إنساناً غارقاً في المعاصي والآثام، ومع ذلك يتمتع بصحة جيدة، ومركز قوي، ودخل فلكي، ويتبجح، ويتكبر، ويتعاطف، فنقول: هذا الإنسان له موقف عسيب بعد حين.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِن سَعْتُهُمْ لَا تُبَلِّغُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعْيُ﴾ (12)

[سورة آل عمران]

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (19) فَفَعَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20)﴾

أحياناً الإنسان يتوهم أن الله -عز وجل- إذا أعطاه الدنيا فهو يحبه، ليس كذلك، والدليل:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)﴾

ليس باباً بل أبواباً، ليس أبواب شيء بل أبواب كل شيء ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ يعني الله -عز وجل- يرحم المؤمن فيعالجه على كل قضية معالجة سريعة، لكن غير المؤمن قد يسمح له أن يعلو، ويعلو ويعلو إلى أن يصل إلى قمة العلو وهنا يسقط سقوطاً مريعاً، أيهما أفضل أن تُعالج يومياً؟ أن تعالج عند كل مشكلة؟ عند كل خطأ؟ عند كل غفلة؟ عند كل ذنب؟ أم أن تجمع لك كل هذه العقوبات في عقوبة كبرى ماحقة؟ والله الذي لا إله إلا هو إذا رأيت أن الله يتابعك، ويحاسبك على كلمة، على تقصير، على ابتسامة ساخرة، على تعليق لا ذع، إن رأيت الله يتابعك فاعلم علم اليقين أنه يحبك، وهذه بشارته والله لمن يتابع.

الله عز وجل يسوق للإنسان المصائب ليتذكر أخطائه :

شيء آخر:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)﴾



يهدي قلبه إلى سر المصيبة، جاءت مصيبة يارب ما السبب؟ أين الخلل؟ أين الخطأ؟ أين التقصير؟

أين المعصية؟ والله - سبحانه وتعالى - يهدي قلبك أيها المؤمن حينما يسوق لك بعض الشدائد، يذكرك ببعض الأخطاء، هذه من أجل هذه، لذلك:

((ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود، إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر))

مرة ثانية: (ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود، إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر) بطولتك أن تكتشف عندما تأتي المصيبة أين الخلل؟ أين الخطأ؟ أين التقصير؟ لا تحاب نفسك، لا تتوهم أنها مصيبة ترقية، لا، ظنّ بأخيك ظناً حسناً، إن أصابت أخاك مصيبة، قل: إنها مصيبة ترقية لأخيك، أما نفسك فقل: لا بد من خلل، لا بد من خطأ، لا بد من تقصير ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ لأنه مستحيل وألف مستحيل أن تساق لإنسان مصيبة بلا سبب، والدليل:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ يعني الله -عز وجل- حكيم يضعك في ظرف تُكشَف على حقيقتك، وكلما استطعت أن تخدع الناس تولى الله كشف الحقيقة.

الإنسان يعرف نفسه معرفة يقينية :

لذلك قيل في بعض الأمثال الأجنبية: بإمكانك أن تخدع معظم الناس لبعض الوقت، بإمكانك أن تخدع بعض الناس لكل الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت، فهذا مستحيل! بل أضيف على ذلك: أما أن تستطيع أن تخدع نفسك، أو أن تخدع ربك لثانية واحدة، فهذا مستحيل وألف مستحيل، والدليل:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

والإنسان يعرف نفسه معرفة يقينية، لذلك مرة كتب على سرير في أحد الفنادق بألمانيا: إن لم تنم هذه الليلة فالعلة ليست في فرشنا، إنها وثيرة، لكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة، وهناك فطرة والفطرة تحاسب، قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)﴾

[سورة الروم]

الإنسان ممتحن دائماً وإذا لم ينجح كان عدم النجاح حجاباً بينه وبين الله :

أيها الإخوة، كلفك الله أن تجاهد نفسك وهواك، يضعك في ظرف تعتذر، تنسحب، ترفض أن تشارك، ترفض أن تدفع، امتحنت، صدق ولا أبالغ أنت ممتحن كل يوم، بل ممتحن كل ساعة، سألك سائل، طلب منك لقاء، اعتذرت، مشغول، وأنت لست كذلك، امتحنتك ولم تنجح ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ اعتقد أنك ممتحن في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل موقف.

دخلت للبيت، طلبت منك أمك دواء، قلت لها: الصيدليات كلها مغلقة، سكتت، وتعلم أنت علم اليقين أن هناك صيدليات مناوية، هي سكتت، امتحنت فلم تنجح. أيها الإخوة، أنت حينما تعلم أن الله يمتحنك دائماً، فإذا نجحت في الامتحان تألقت، وكنت قريباً من الله - عز وجل -، وإذا لم تنجح كان عدم النجاح حجاباً بينك وبين الله. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ طبعاً هنا يعلم: الله - عز وجل - عنده علم كشف، وعلم حصول، لكن علم الكشف لا يعد أصلاً في المحاسبة، أما علم الحصول فيعد أصل.

مثلاً: طالب كسول جداً، لم يكتب أية وظيفة، ولم يكتب إجابة لأي سؤال، وكما سئل يقول: لا أعلم، هذا الطالب راسب، هل من المناسب أن المدرس يصدر قراراً بترسيبه دون امتحان؟ مستحيل! يخضع لامتحان، وحينما يقدم الأوراق بيضاء، ويأخذ الأصفار، عندئذ يصدر قراراً برسوبه. فعلم الله الكشفي لا تحاسب عليه، لكن تحاسب على علم الله الحسولي، العلم الواقع، وضعك بامتحان ولم تنجح، هذا العلم حصولي، أما الكشفي فليس لك علاقة به أبداً، فهذا الذي امتحن لم يجاهد، لم يبذل جهداً في طاعة الله، لأتفه سبب اعتذر، انسحب، لم يشارك، قال: لا أستطيع وهو ليس كذلك، طلب منه قرص حسن لإنسان مؤمن صادق، اعتذر، ياترى اعتذاره صحيح؟ لا يملك أم يملك ولم يقدم هذه العمل الصالح؟ فأنت لاحظ نفسك بأن الله يمتحنك دائماً.

علامة المؤمن أنه يستفتي الله ورسوله أما ضعاف الإيمان فيلجؤون للكفار :

الآن: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَّةً﴾ مدخل، المؤمن قد يلجأ إلى مؤمن، لا يوجد شيء، وضع طبيعي، المؤمن قد يلجأ إلى رسول الله وضع طبيعي، قد يلجأ إلى الله وضع طبيعي، أما أن يلجأ إلى كافر ليظهر أمامه ضعيفاً ويتذلل أمامه؟.

((من جلس إلى غني فتضعض له ذهب ثلثا دينه))

[البهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود بسند ضعيف]

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَّةً﴾ ومن الرسول ومن المؤمنين ﴿وَلِجَّةً﴾



أي يسأل القرآن عن هذا الموقف، أدخل القرآن في حياته، يسأل السنة النبوية، ما حكم وضعي؟ دخل

في السنة، دخل في القرآن، دخل فسأل عالماً، الدخل مشبوّه أم صحيح؟ دخل على مؤمن، أو دخل على السنة، أو دخل على القرآن، ليطمئن، أعتقد أن القرآن والسنة والمؤمنين هؤلاء مرجع له، فرجع إليهم.

﴿وَلِجَّةً﴾ أي مدخلاً، دخل عليهم، ليسألهم، ليطمئن على وضعه، على دخله، على بيته، على ماله، لذلك فإن علامة المؤمن أنه يستفتي، يسأل، أما ضعاف المؤمنين أو غير المؤمنين يلجؤون للكفار.

لذلك قالوا: من شك إلى مؤمن فكأنما اشتكى إلى الله، ومن اشتكى إلى كافر كأنما اشتكى على الله، الكافر يشمت، الكافر يدعوك لمعصية، يدعوك لقرص ربوي، يدعوك لإلغاء عمل صالح، فالمؤمن لا يلجأ ولا يسأل ولا يستفتي إلا مؤمناً يخاف الله، وقد يستفتي رسول الله من خلال سنته، وقد يستفتي ربه من خلال قرآنه، يرجع إلى القرآن، وإلى السنة، وإلى من يتق من العلماء.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ ما اتخذ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَّةً﴾ بل دخل على الله من خلال قرآنه، ودخل على النبي من خلال سنته، ودخل على المؤمنين من خلال استشارتهم.

الله عز وجل يعلم حقيقة الأمور و مقاصدها :

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هو الخبير ، يعلم كل شيء يخطر في بالك ، لا تخفى عليه خافية.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (19)

[سورة غافر]

للتقريب طيب يفحص مريضة، سمح الشرع له أن ينظر إلى مكان المرض لكن اختلس نظرة إلى مكان آخر ، من يكشفه؟ ليس على وجه الأرض كلها جهة تستطيع أن تكتشف خائنة العين ، قال تعالى: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾**.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ خبير بعملك، ما البواعث؟ ما الدوافع؟ ما الحثيات؟ ما الظروف؟ ما الأهداف؟ ما الطموحات؟ والله - عز وجل- هو الخبير بما تعمل:

﴿وَكَمْ أَلْهَكْنَا مِنَ الْفُرُوقِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (17)

[سورة الإسراء]



قد تقول كلاماً أحلى من العسل، وأنت موقفك من هذا الذي تقول له هذا الكلام ليس كما تقول، تتخذ هذا

الموقف أسلوباً كي تصل لهدفك، من يعلم ذلك؟ الله - عز وجل-.

مرة إنسان عنده آلاف الدونمات، فافتعه شخص قال له: إذا قدمت لجامع خمس دونمات مثلاً، تضطر البلدية أن تفرز أرضك إلى محاضر ، فإذا فرزت إلى محاضر ، ارتفع ثمن الأرض عشرة أضعاف، فهو قدم خمسة دونمات لمسجد، هو عند الناس محسن كبير ، ماشاء الله! قدم خمسة دونمات لمسجد بنية أن تضطر البلدية إلى تقسيم أرضه المشاع إلى محاضر ، فلما قسمت إلى محاضر ارتفع سعرها أضعافاً مضاعفة، هو عند الناس كلها محسن، أما عند الله ليس بمحسن، منتفع، فالله - عز وجل- **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾** ولاحظ هذه الملاحظة أن كل كلمة تقولها، وكل حركة تتحركها، وكل سلام تطرحه على الآخر ، يعلم الله حقيقته، يعلم بواعثه، يعلم مقاصده، يعلم مؤداه، لذلك:

أفضل أنواع الإيمان أن يعلم الإنسان أن الله معه :



الإنسان حينما يوقن أن الله مطلع عليه يتأدب مع الله،

بل إن أفضل أنواع الإيمان أن تعلم أن الله معك،

يسمعك، أفضل أنواع الإيمان أن تعلم أن الله يعلم، هناك بعض الآيات في معرض الحديث عن الحج:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَبُوتِ الْحَرَامَ لِيَأْتِيَ النَّاسَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَالِبَةَ ذَلِكُمْ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (97)

[سورة المائدة]

إذا علمت بأن الله يعلم استقمت على أمره **﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** العمل حجمه، بواعثه، العقبات، الصوارف، الحثيات، المؤدى، كم كلفك هذا العمل؟ كم ضحيت من أجله؟ كل هذه الحثيات يعلمها الله - عز وجل-، لأنه خبير بما نعمل.

من شروط العمل الصالح الإخلاص و الصواب :

بالمناسبة العمل لا يقبل عند الله إلا بشرطين: إلا إذا كان خالصاً وكان صواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، شرطان أساسيان في تفسير قوله تعالى:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)﴾

[سورة المل]

العمل الذي يرضي الله ينبغي أن يكون صواباً وفق السنة، يقول لك: يا نصيب خيري، حفلة غنائية يرصد ريعها للأيتام، هذا عمل ليس صواباً، ينبغي أن يكون صواباً وخالصاً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، هذا العمل الذي يقبله الله - عز وجل -.

أيها الإخوة ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لذلك الإخلاص ينفع معه كثير العمل وقليله، ومن دون إخلاص لا ينفع لا كثير العمل ولا قليله، العمل من دون إخلاص لا قيمة له.

((لا علمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً قال ثوبانُ يارسول الله صفهم لنا جئهم لنا أن لا نكون

منهم ونحن لا نعلم قال أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[ابن ماجه عن ثوبان]

لذلك: من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله .

بالمناسبة أيها الإخوة، الإنسان خارج بيته بلبس ثياباً جميلة، وبيوتهم، ويتأنق ويتعطر، كله من أجل مكانته، لكن أخلاقه الحقيقية متى تظهر؟ في البيت، لا رقيب، ولا حسيب، أخلاقه الحقيقية تظهر في البيت، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الأخلاق الحقيقية التي ينبغي أن تكون عليها تكون في البيت.

بطولة الإنسان أن يشعر أن الله يراقبه :

أيها الإخوة، إذا: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فالإنسان أحياناً خارج البيت تهمة مكانته، يهيمه منظره، يهيمه ثناء الناس عنه، فإذا تجمل وتأنق وتواضع وابتسم، هذه من أجل مكانته، لكن متى تظهر أخلاقه على حقيقتها، في البيت، لا يوجد رقيب ولا حسيب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) ولمجرد أن تشعر أن الله يراقبك، وأن الله معك، وأن هذا العمل لا يرضيه، أو أن هذا العمل يرضيه، مراقبة الله للإنسان المستمرة أحد أكبر أسباب استقامته، راقب الله، لماذا دعوت فلاناً؟ لماذا مدحت فلاناً؟ لماذا تجشمت المصاعب لهذا السفر؟ لماذا غضبت؟ لماذا أعطيت؟ لماذا منعت؟ لماذا تساهلت هنا ولم تتساهل مع هذا؟ أحياناً مع امرأة بمعاملة يتساهل الإنسان تساهلاً مدهلاً معها، يأتي مواطن ذكر، فيجد تعقيدات لا تحتمل، لماذا؟ لماذا تساهلت معها ولم تتساهل مع هذا الإنسان؟ والله كله فيه حساب.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

[سورة الحجر]

والبطولة أن تشعر أن الله يراقبك، بل إن حال المراقبة من أرقى الأحوال، إن الله يراقبك.

أيها الإخوة، هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ أي مدخلاً.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ البطولة أن تراقب نفسك في العمل، وأن توقن يقيناً أن الله معك ويراقبك، والله - عز وجل - يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَجُلًا وَجَعَلَ مِنْهَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(1)﴾

[سورة النساء]

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.